الثورة الخميس 12 ذو الحجة 1431هـ الموافق 18 نوفمبر 2010م العدد (16808)

العيد.. أنت يا وطن..

طه العامري

■ قد لا نختلف بأن همومنا (الذاتية) ومعاناتنا (الفردية) تكاد تكونان هما الطاغيتان على نفوسنا ووجداننا حيث تزداد هذه المعاناة قساوة أمام كل مناسبة دينية أو اجتماعية حين يصبح رب الأسرة محل نظرات العيون الحائرة والتساؤلات الصامتة لأسرة بين أعضائها الكثير ممن لا يدركون بعد معنى المعاناة والقهر المناسباتي المتلاحق كأيام العمر.

فالأطفال لا يدركون ماهية الظروف ولا يفقهون بعد الكثير من معاناة ذويهم وإن شاركوا بحكم الأمر الواقع في تحمل تبعات وتداعيات هذه المعاناة ودفعوا ثمنها حسرات وأماني والكثير من التساؤلات المبهمة العصية على الإجابة ..!! لكن وبحكم الكثير من الشواهد الاجتماعية فإن هذه (الفردية) تظل ربما أهون من المعاناة (الجماعية) بظواهرها الكارثية المدمرة لكل الروابط والأنسجة المجتمعية، ولهذا يصبح منطقياً إلى حد كبير القول أن (العيد عيد الوطن) .. والعافية للوطن قد تكون ذات أولوية في زمن الفوضى المجتمعية الغارقة في نوازع ورغبات (أفرادها)، حيث بدت (الأقلية) الشاذة تفرض وصايتها على (الأكثرية) الصامتة أغلبية رأت في المناخ الحر والتعبيرات الحرة فرصة لإفراغ مكنوناتها الثقافية والفكرية والتعبير عن قناعتها لكنها وجدت نفسها تدفع ثمن نزق (الأقلية) العابثة الساعية إلى فرض خياراتها والانتصار لمشاريعها الصغيرة، بغض النظر عن شعور ومشاعر الآخرين الذين يشكلون الأغلبية الصامتة في مجتمع لم ير بعض المحسوبين عليه في المرحلة ومتغيراتها غير محطة من محطات –إثبات الذات– وإن بطريقة تعسفية بل وتعسف مبالغ فيه لدرجة يصعب فيها على المراقب أن يستوعب مثل هذه المفاهيم التي يتعمد أبطالها على (أركسة) كل الحقائق وظواهرها انطلاقاً من نوازع ذاتية مفعمة بكل قيم الحقد والكيد والنزوع التدميري لكل مكونات السكينة والتناغم والتآلف والمحبة..

نعم قد يجد بعضنا في لحظة تأمل جاد وصادق نفسه يردد وبكل قناعة ـــ العيد عيد الوطن ـــ حين يستشرف مخاطر يقودنا إليها ويوجهنا نحوها قسرا وعنوة هؤلاء الذين لم يعد ثمة ما يردعهم عن مواصلة مغامراتهم الجنونية حتى ولو كان الثمن التضحية بالوطن وبمنجزاته، وقبل كل هذا التضحية بالسكينة المجتمعية بجسورها وروابطها وحقائقها وثوابتها التاريخية ..كل هذه السلوكيات يسلكها بعضنا تلبية لنوازع مرضية تستوطنهم وتتحكم بحياتهم وقضيتهم الحياتية تصبح مختزلة في كيفية الانتصار لهذه النوازع بغض النظر عن الثمن الذي قد يدفعه محيطهم على خلفية مثل هذه السلوكيات، فإذا توقفنا مثلاً أمام نماذج مجاورة مثل ـــ الصومال ـــ سنجد أن تدمير هذا البلد وتشتيت مواطنيه ومآسيه اليومية التي تصنعها إرادة المتصارعين الذين جعلوا من وطنهم ميداناً لحرب انتقامية ليس لها ما يبررها غير إصرار القلة المتنفذة على فرض قيمها دون الاكتراث بحياة الملايين الذين شردتهم الحرب والفوضى والكثير من هؤلاء تلقفهم المحيط بأسماكه المفترسة في لحظة كان فيها البحر بكل مخاطره أهون وأكثر طمأنينة لأولئك من البقاء في كنف وطن ليس فيه غير صناعة الموت المجاني وتوزيعه لكل الشرائح المجتمعية ..!!

هذه المعادلة بظواهرها وشواهدها تجعلنا نتجرع (الهم الذاتي بحاجياته وحسراته وظروفه القاسية والمرة) بكثير من الصبر والإيثار خشية من خطر أشد كارثية يتمثل في قدرة أصحاب المشاريع الصغيرة والنوازع الخاصة في تمرير مخططاتهم لضرب كل مقومات الاستقرار الجمعي وجسور ترابطه بحثاً عن ـــ ذاتهم ـــ المتواضع والدوني أمام الذات الوطنية التي غدت على مقصلة البعض منا ممن خبرناهم دوماً بأنهم وبدافع من عقدة (الدونية) التي تسيطر على تفكيرهم لم يترددوا يوماً في جعل الوطن مسرحا لأحقادهم في دورات متتالية اعتادوا القيام بها حين كانت قدرات الوطن بيدهم وتحت سيطرتهم ، وها هم اليوم وحين قال الوطن كلمته وعبر الشعب عن قناعته وإرادته نجدهم يسعون جاهدين إلى تدمير كل جسور التعايش والترابط بقنابل وألغام أحقادهم ونوازعهم غير مكترثين بنتائج أفعالهم أو ما قد يترتب على مثل هذه الأفعال من ظواهر تبرز في لحظة يأس مجتمعي تغذيه ظواهر (القهر والحاجة والظروف الاقتصادية والمعيشية) التي تشكل ظاهرة كونية ـــ مجازاً ـــ لكنها في حالتنا وإذا ما ترافقت مع سلوكيات القلة (الشاذة) فإن ويلاتها قد تكون أكثر إيلاما على الكل دون استثناء .. لكل ما سلف فإن المنطق يجعلنا نبادر إلى الإيثار والتضحية دفاعا عن سكينة وطنية ووطن مستقر بغض النظر عن الحسابات السياسية التي تظل دوما خاطئة إن لم تكن من أجل الوطن ومن أجل السكينة الوطنية .. وهذا ما يجعلنا نقول: العيد عيد الوطن، وعيد الوطن يتجسد في أمنه واستقراره وترابط مكوناته بعيداً عن حسابات وأهداف شرائم الكيد والأفعال الخاطئة الذين لن يحصدوا سوى المزيد من الخزي والعار والذل، لأن العظمة ليست في ما يفعل هؤلاء بل العظمة دوما في مواقف الشعب وصبره وقدرته على تحمل تخرصات المرجفين وعبث العابثين ..

وكل عام وأنتم بخير .. والعيد عيدك يا وطن .. والعافية أنت .. فإذا سلم الوطن فالسلامة حتماً ستعم جميع المرتبطين فيه .. ما عدا ذلك فكل شيء قابل للتغير والتحول إذا ما عمّ الأمن الوطن أمن من فيه، وإذا أمن الجميع خيمت السعادة عليهم لأن وسواس الخوف يقضي على كل التطلعات والآمال .. وكل عيد والوطن بخير ..

ameritaha@gmail.com

كيف نساعد المحتاجين لقضاء العيد؟

قاسم البعيصي

■ .. معاناة مستمرة وخوف وقلق قد يصل إلى حد البكاء، شيء معتادون على أن نراه على أرض الواقع وليست مبالغة إذا أكدنا بالجزم أنها أصبحت ظاهرة وبرغم أن للدولة جهداً كبيراً في هذا الجانب سعيا وراء عدد من الحلول الممكنة وتقديم الدعم الوفير لكنها تظل هي الحقيقة .

ولا يزال هناك من يشتكي العوز ويلعن الظلام الذي يلفه بصورة مذلة للخروج على باب الله بغية إقناع من يقدر على مساعدته، وهذا دائما ما يحصل لتلك الفئة المحتاجة مع دخول ساعة الصفر لاقتراب أية مناسبة عيدية كمناسبة عيد الأضحى المبارك الذي نعيش لياليه وأيامه هذه الأيام للعام الهجري ١٤٣١هـ.

وبعيداً عن أنواع التسول وكما نشاهد يوميا الأعداد الكبيرة بمختلف الشخصيات الإنسانية من رجال ونساء – صغارا وكبارا – يملأون كل جنبات ومساحات المدينة والريف ليمارسوا هذه المهنة (التسول) إلا أننا هنا لا نتحدث عن هذا الخصوص المكروه والممقوت فلكل (طالب) من تلك الأيادي نصيب بقدر شطارته وبحسب ما قدم من قسم وغيرها من حجج تكون مناسبة لاصطياد أصحاب القلوب الرحيمة ، ولكن هنا تغمرنا السعادة ونحن نطرق باب الكلام على الأسوأ في ساحة (المعاناة) الإنسانية وكما أشرنا أنها دائما مستمرة وخاصة أيام الأعياد والمناسبات وأهمها – الدينية – (كالفطر والأضحى) ليقع أهل تلك الحاجة الضرورية والعوز المطلق في مطب الخروج القهري بالانضمام إلى هذا الطريق (باب الله) وليست جديدة هذه الممارسة في وقتنا مع هذه المناسبات وما حد يموت من الجوع ودائما ما تسير الحركة في الجانب (الفقري) إلى نهاية أكيدة (العيد عيد العافية).

وإذا كان هناك من دليل يؤكد أن هناك اختلافا همجيا ما بين الزيادة والمعقول واللامعقول في اعتبارها قضية إنسانية عامة توجد في كل محافظات الوطن فإن مدينة الحديدة هي الأكثر نصيباً في احتضانها لهذه الحالات والتي لا تنتهي برغم وجود كثير من وسائل الدعم والمساعدة وبرغم وفرة الجمعيات الخيرية.

وفي الحديدة هذه المدينة الوديعة يتواجد الأكثر فقرا في مديرية الحالي والتي فيها السواد الأعظم من العائدين من نكبة الخليج ١٩٩٠م لكن هذه المرة وجد هؤلاء الفقراء ضالتهم في الحصول على أساسيات عيد الأضحى (الغذاء – الثياب) حيث توافدت الأسر المحتاجة إلى (مهرجان الخير) والذي دعت إليه جمعية إخوان ثابت الخيرية للتنمية واستطاعت بذلك أن ترسم فرحة العيد على وجوه الفئة الفقيرة في موقف مثير جدا يبكي من الفرحة وخاصة عند رؤية طابور من الأيتام في سعادة لأن لديهم ملابس جديدة للعيد ومصروف جيب .. وعيدكم مبارك.

مـــا «وراء يـــهـــوديـــة» إسرائيل؟

د.ناجى صادق شراب

■ .. كتب شلومو غازيت فى مقالة له بعنوان »لا نحتاج إلى اعتراف بالوجود بل إلى اتفاق لمصلحة الطرفين، « في جريدة معاريف في ديسمبر ٢٠٠٦م مستغربا أو متهكما: «نحن القوة الاقليمية العظيمة من كل ناحية ممكنة نطلب من القيادة الفلسطينية التى تقوم كلها على رجلي دجاجة ، أن تتفضل علينا وتعترف بحقنا فى الوجود «سأذهب أبعد من ذلك وأقول السلطة الفلسطينية أضعف من الدجاجة نفسها».

والسبب في ذلك إسرائيل التى لا تريد سلطة قوية قادرة على بناء نفسها ، وإذا كانت هذه السلطة التى يتحدث عنها شلومو غازيت ضعيفة فلماذا يطلب منها الاعتراف بيهودية إسرائيل؟ وقبل الإجابة على السؤال لا بد من إبداء بعض الملاحظات للوقوف على فهم هذا التوقيت فى طرح هذا الشرط.

الملاحظة الأولى تاريخية وهى أن فكرة الوطن القومى لليهود لم تكن غائبة عن الفكر والأيديولوجية الصهيونية ، فالفكرة متضمنة فى برنامج بال ، وفى وعد بلفور ، وظهرت وتأكدت بشكل صريح وقاطع فى مؤتمر وبرنامج بليتمور الذى عقد فى الولايات المتحدة عام١٩٤٢ م، والذى شكل نقطة تحول في تاريخ الحركة نحو قيام إسرائيل كدولة ، إذن الفكرة ليست جديدة ، بل هى تتساوق مع الفكرة الصهيونية ، بل هى ملخص للصهيونية كلها ، والملاحظة الثانية سياسية البعد ، وهى أن هدف إسرائيل فى البداية كان قيام الدولة نفسها ، ويصعب منذ البداية التأكيد على طابع هذه الدولة منذ قيامها ، المهم أن تقوم الدولة فى سياق الفكر والتطبيق المرحلي للفكرة ، وفى السياق نفسه الاعتراف بيهودية الدولة لا يأتى إلاّ من السكان الأصليين أي الفلسطينيين ، كما سنرى ، وحيث هذه السلطة غائبة فلا ضرر أن تؤجل المطالبة لمرحلة لاحقة . والملاحظة الثالثة ذات بعد ديني ، وهى أن اساس الفكرة ألصهيونية رغم علمانيتها إلاّ أنها دينية الأساس ، بمعنى توظيف البعد القومي للديانة اليهودية من خلال تأكيد مقولات أرض الميعاد ، وأن اليهودي لا تكتمل يهوديته إلا بالعودة لفلسطين ، وشعب الله المختار ، ونقاء العنصر اليهودى ، ما كان يمكن للحركة الصهيونية أن تنجح من ناحية ، وما كان يمكن قبول اليهود وتشجعهم بالعودة إلى فلسطين الوطن القومى لهم ، ومن هنا كانت أغنية أورشليم غدا ، والملاحظة الثالثة ذات بعد سيكولوجى نفسي ، وهي أن اليهود يشكلون أقلية ، فعددهم على مستوى العالم لا يزيد عن عشرين مليونا ، ودائما شعور الأقلية ينتابه التخوف والقلق من الاندماج فى كيانات أو العيش بين شعوب طاغية سكانيا ، ويضاف إلى هذا البعد عنصر البقاء ، فالشعور بأنهم أقلية والتخوف من العنصر السكاني الفلسطيني والعربي المتزايد ، مع عنصر البقاء يسيطر عليهم هذا الشعور بالتملك الذاتي، والعيش فيما كان يسمى »بالغيتو« الذي وظيفته الأساسية هى الحفاظ على اليهود كديانة وكأقلية وشعب.

واليوم تقوم الدولة بهذه الوظيفة ولكن على نطاق واسع ، وفى إطار كيان سياسى قانونى يمكن أن يحقق هذه الوظيفة من خلال القوانين التى تتبناها الحكومة ويصدرها الكنيست ، وهذه القوانين تحمل تمييزاً عنصريا وتتعارض مع مفهوم ديمقراطية الدولة ، ويمس الوجود السكاني لأكثر من مليون نسمة من الفلسطينيين أصلا.

وهذا هو التناقض الذي تقع فيه هذه القوانين ، لأن ما يعني إسرائيل أولا هو الحفاظ على بقاء سكانها كأقلية ، وهذا الحديث ليس تبريرا ، بقدر ما هو محاولة لفهم العوامل التي تكمن خلف هذا التفكير. ويضاف إلى هذه الملاحظات ملاحظة أخرى تتعلق بالطابع الاستعلائى لكل ما هو يهودي، وعليه ما دون ذلك ليس من حقهم أن يتعاملوا بنفس المعايير التي يتعامل بها غير اليهود ، وأن ما يتمتع به هؤلاء من حقوق وامتيازات هو الذي ترى فيه إسرائيل أنه يجسد ديمقراطيتها وخصوصا من الناحية التمثيلية والحق في الانتخابات.

أعود إلى سؤال مقالتنا لماذا يطلب من سلطة وقيادة فلسطينية وصفها شلومو غازيت بأنها كلها تقوم على رجلي دجاجة ، والإجابة ببساطة أن إسرائيل تدرك أنها وعلى الرغم من قيامها كدولة ، ونجاحها فى فرض وجودها بالقوة التي تتفوق بها على غيرها هي في حاجة إلى اعتراف من له حق فى هذه الأرض ، وتدرك أن الصراع وبقاءها رهن بالاعتراف الفلسطيني ، وهو ما يفسر لنا هذا الطلب والإلحاح عليه ، ولو كان الأمر غير ذلك لاختصرت إسرائيل الطريق واطلقت على نفسها الوصف والتسمية التى تريدها ، لكن لا معنى ولا قيمة لذلك ، الاعتراف الذى تريده ليس اعترافا ، فالاعتراف قائم ، ومنحته منظمة التحرير الفلسطينية إلى إسرائيل كدولة ، ولكن الاعتراف هذه المرة له علاقة بالحقوق والتنازل عنها ، وله علاقة بالصراع وإنهائه ، وهذا المضمون الحقيقي لهذا الاعتراف . لذلك أخيرا المدخل لهذا الطلب هو فى النظر أولا للحقوق الفلسطينية.

□ أكاديمي وكاتب عربي

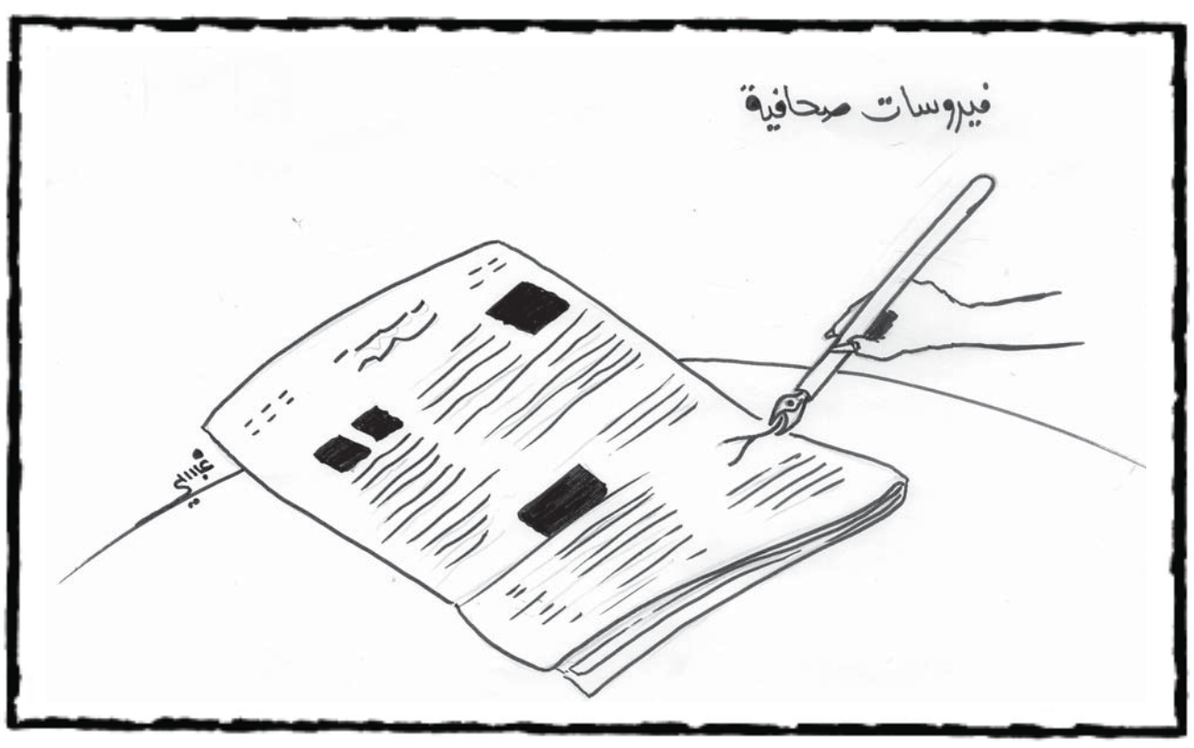

رغم الأخطاء

عمر مكرم

قال لي أحد ركاب الحافلة التي أستقلها في طريقي من مدينة خور مكسر باتجاه مدينة المنصورة حيث مسكني متسائلا:- هل تعتقد أن خليجي عشرين سيقام فعلاً وفي موعده؟

نظرت إلى الرجل الذي تطوع بذلك السؤال محاولاً استيعاب مضامينه كاملة قبل الإجابة فرأيت بين ملامحه انتظاراً جاداً للإجابة فقلت: وهل تظن بعد كل هذا الذي تراه من حولك وبعد كل ما تأتي به وسائل الإعلام من أخبار وتصريحات وتأكيدات أن سؤالاً مثل سؤالك هذا يمكن أن يطرح.

توقفت عن الكلام.. وسكت الرجل.. لكني أعدت السؤال لذاتي ليس بحثاً عن إجابة تحمل إحدى الكلمتين المختصرتين نعم أو لا.. وإنما في سبيل معرفة هذا السائل ومن على شاكلته من المشككين بالإجابة دون الحاجة إلى السؤال..

هذا الرجل وآخرون يملكون عيوناً مفتوحة وأذهاناً منفتحة وآذاناً تسمع دبيب النمل من حولهم وهم أكثر الناس احتكاكا ودراية بما يعتمل حولهم من دوران لحركة البناء والعمل والتجهيز في محافظة عدن بمختلف جوانب الحياة الرياضية والجمالية والسياحية والخدمية والصحية والترفيهية.. ويلمسون عن كثب كل الاستعداد وكل الجاهزية في إمكانات هذه المحافظة لاستقبال هذا الحدث الرياضي الكبير خليجي عشرين..

وهم أيضاً يعلمون عن الاهتمام الخاص والمتابعة المستمرة والتوجيهات الدائمة من قبل فخامة الأخ علي عبدالله صالح رئيس الجمهورية ورعايته الشخصية لقيام هذا المحفل الرياضي الكبير هنا في محافظة عدن.

وهم أيضاً يعرفون حجم الجهود الكبيرة والإمكانات الضخمة التي قدمتها الحكومة في سبيل إنجاح هذه الاستضافة وتقديم الاستقبال الأفضل لضيوف اليمن القادمين من مختلف دول الخليج والدول العربية والأجنبية لمتابعة هذا التجمع الرياضي على أرض اليمن السعيد وتوفير كل المناخات المناسبة لإنجاحه.

وبلا أدنى شك أن هذا الرجل وأشباهه من المغيبين عن الحقائق التي تعتمل في الواقع المحيط بهم يتابعون وسائل الإعلام في كل مكان وعبر قنواتها المرئية والمسموعة والمقروءة وتأكدوا من خلال تصريحات قادة هذه الدول وقياداتها ومسئوليها في مختلف المجالات أن الإجماع العام على استضافة بلادنا لهذا المحفل الرياضي قد صار في حكم المؤكد بل قد تميزت بما حفلت به من تحضيرات عالية المستوى..

وما دام الأمر قد بلغ ذلك الحد فلماذا يسمح البعض لنفسه بذلك التغابي أو ذلك الانكسار ومحاولة عكس ذلك على من حولهم من الناس الطيبين الذين يتفاءلون بالغير ويسعون من أجل النهوض بالوطن نحو المستقبل؟

إن مثل أولئك يعلمون علم اليقين أن الوطن يسير بقوة وثبات نحو إدراك النجاحات المرجوة في مختلف المجالات وأن هناك عملاً جاداً باتجاه تحقيق كل الأمنيات الطيبة التي تعيد لليمن مكانتها الاجتماعية والاقتصادية المرموقة وتحقق أهداف التنمية وأن مساعدات الأشقاء والأصدقاء تدفع بهذا الاتجاه دعماً للنوايا الوطنية الصادقة والمخلصة وأن محاولات البعض السير عكس اتجاه حقائق الواقع الجديد ليمن الوحدة والبناء والنهوض والتنمية ما هي إلا أضغاث أحلام لأصحاب النفوس المريضة التي لا تريد لليمن إلا البقاء داخل شرنقة الفقر والمرض والتخلف وحتماً ترفض عجلة الزمان أن تتوقف عند أحلام هؤلاء.